الحسينية

الوظيفة و الآليات

أحمد محمدي
AHMED MOHAMADI

تصميم وإخراج:

زعفر الزاهد

Z3far@hotmail.com

مؤلفات سابقة:

-حسن المآل في خدمة الآل

«لماذا وكيف نخدم أهل البيت عليهم السلام؟»

- طيب المنال في خدمة الآل

«كيف نخدم أهل البيت عليهم السلام أدبياً ؟»

الحسينيات

الوظيفة والآليات

مقدمة

أصحاب الإمام الحسين ﷺ رأوا الجنة حقيقةً حين خَطب الإمام خطبته وأعلنوا ثباتهم على موقفهم من الشهادة معه .. مع ذلك كانوا يبكونه ويوصون لحمايته لأنهم حين رأوا الجنة رأوا حقيقتها وهي : «الحسين بن علي» [1]

* * * * *

١ . ورد في بحار الأنوار ج ٢٥ أبواب خلقهم وطينتهم وأرواحهم ﷺ باب بدء أرواحهم وأنوارهم وطينتهم ﷺ وأنّهم نور واحد ح ٣٠ حديث مروي عن رسول الله ﷺ : .. ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والحور العين فنور الجنة والحور العين من الحسين ونور الحسين من نور الله والحسين أفضل من الجنة والحور العين.

الوظيفة
تربوية أم تعليمية؟

هناك من يطالب الحسينيات بتأسيسه علمياً، ويعيبُ على بعض الخطباء تكرارهم لذات المواضيع سنوياً؛ فتسمعه يعاتب الخطيب الفلاني: لماذا لا يتطرق لتلك الشبهة أو لماذا لا يثير الموضوع العلمي الكذائي؟

والواضح أنَّ مريدي الحسينيات، لا يخرجون بتأسيس علمي رصين، فهو مثلاً يقول: إن كلام المعصوم حجّة، دون استيعاب كامل لأدلة العصمة، والتمييز بين دليل الإمكان، ودليل الوقوع، وإدراك أهم الإشكالات والرد عليها .. فما هو سبب الخلل؟

الإنسان كائنٌ مركبٌ من : جسدٍ وروح

الروح: جوهر مجرد عن المادة لا تتعلق بمكان ولا زمان حقيقتها بالقوة العقلية.

والقوة العقلية تنقسم إلى: عقلٍ نظري وعقلٍ عملي.

العقل النظري: يدرك القضايا الكلية، أمّا العقل العملي فمهمته ادارة البدن.

العقل مثله مثل العضلة حيث لها الإستعداد للتقوية من خلال التمارين لذلك من الواضح من يتمرن على الأثقال بنيته الجسدية تختلف عن الإنسان العادي.فما السبيل لتربية العقل وتقويته؟

العقل النظري يتقوى من خلال: التعليم

أما **العقل العملي** يتقوى من خلال: التربية

التعليم مكانه الحوزة «الدروس والندوات والكتابة والتعليق والمباحثة»

التربية مكانها المساجد والحسينيات والدورات الصيفية.

التربية تكون بالخطابة والوعظ[١] والإرشاد، وقد يستخدم تحريك الخيال لتحريك المشاعر ليحفزك على السلوك، كالشعر مثلاً.

السلوك كـ«الصدق ، الصلاة الخ» بحاجة إلى التكرار[٢] المستمر حتى تصبح صفة أخلاقية للنفس لذلك قد تجد بعض المؤمنين أخلاقهم أعلى من أساتذة الحوزة ولكنه يفتقر للأدلة العلمية فهو يحفظ الرسالة العملية ولكنه لا يعرف أدلتها !

إذن الحسينيات وظيفتها تربوية لا علمية[٣]

* * * * *

١. مثل أن يقال لك لا تكذب! فهو لا يضيف معلومة جديدة لك ولكنه يذكرك ويحثك على ترك الكذب.

٢. (سمعت أن أحد الخطباء كان يراقب ما أهم ما ينقص مجتمعه فيقوم بعشرة ليالي بالتركيز على هذا الموضوع، مثلا خلو المنطقة من المساجد وكان لذلك أثر فعال في اتخاذ الناس للقرار ببناء المسجد).

٣. (أظن أن هذا التقسيم سيدفع النخبة الدينية لإقامة مشاريعها على ثلاث تصانيف: تربوية - علمية - علمية تخصصية).

التعاطف كعملية تربوية

التعاطف هو الأسيد الذي يذيب أحد أشد الرذائل البشرية فظاعةً أعني «الأنانية»

لاحظ الحالات التي ترافق رؤية فقيرٍ في الشارع، إن بعضها يرافقها منظرٌ لأمٍ تعطي المال لابنها الصغير كي يعطيها للفقير، وهي -أي الأم- تبعث مشاعر التعاطف، مما يزرع في هذا الإبن تلك الأحاسيس، ومن المعلوم أن الأحساس الدافع الرئيسي للسلوك ومثل هذه العمليات تندرج تحت عنوان «التربية» ..

سأنقل هنا بعض البحوث التي ذكرها الدكتور عمرو شريف في كتابه رحلة عقل: في بحث أجراه العالم النفسي في جامعة نيويورك مارتن هوفمان Martin L. Hoffman وجد أن الأطفال بعد عامهم الأول يقلّدون هموم وأحزان الآخرين، في محاولة لكي يدركوا بشكل عملي ما يشعر به هذا الآخر فتجد طفلة تضع إصبعها في فمها إذا جرح صديقتها وتجد طفلاً يكفكف عينيه عندما يرى أمه تبكي، هذه المحاكاة الآلية عند الصغار تجسّد معنى التعاطف أو المشاركة الوجدانية.[١]

١ . استخدم عالم النفس الأمريكي أي بي تيتشنز A . B Tichener اصطلاح Empathy أول مرة في العشرينيات قرن العشرين، يقول تيتشنر: ينبع التعاطف من محاكاة معاناة الآخرين عن طريق استحضار مشاعر الآخر إلى داخل نفس المتعاطف.

كذلك أظهرت دراسة أجريت في المعهد القومي للصحة النفسية بالولايات المتحدة[١]، أن الأطفال الأكثر تعاطفاً هم الذين لفت والداهم انتباههم إلى ما تسببه تصرفاتهم من ضيق للآخرين ،كأن يُقال للطفل إذا أساء التصرف مع أخته : أنظر كيف جعلتها تشعر بالحزن، بدلاً من القول لقد كان سلوكك هذا عنيفاً كما ينمو تعاطف الأطفال عند رؤيتهم لرد الفعل الإيجابي للمحيطين بهم تجاه شخص يمرُّ بمحنةٍ، فتتكون لديهم الرغبة في تقديم المساعدة للآخرين ومن المُلاحظ أن الإنسان لديه وسائل تربوية أخرى لأجل خلق التعاطف نجدها بوضوح في الأعمال الدرامية[٢] حيث يتعاطف الإنسان مع البطل، أو بإقامة الإعتصامات والمظاهرات لأجل الضحايا و...إلخ أو بتشيده للمتاحف [٣]والمعارض.

* * * * *

١. الدراسة لـ Marian Radek Yarrow و Carolyn Shan – Waxler .
٢. تتمثل في طفل صغير يحلق رأسه لأجل طفل آخر مصاب بالسرطان فتأمل.
٣. مثل متحف الهولوكست الذي يوثق التعذيب الذي تعرض له اليهود.

لماذا تركيز الحسينيات على الحسين عليه السلام ؟

ذكرنا في الحلقة الأولى أن الحسينيات أماكن تربوية وليست أماكن تعليم وذكرنا في الحلقة الثانية أنَّ من أساليب التربوية خلق التعاطف وفي هذه الحلقة سنذكر «لماذا التركيز على الحسين عليه السلام كمنهج تربوي؟».

تقول الآية الكريمة: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات .. هذه الآية مفتاحٌ للبناء الفكري للأنسان، حيث يبدأ بـ«المحكمات= الواضحات» وينتقل إلى الأمور الأقل وضوحاً «المتشابهات» ولذلك أثرٌ في مسيرة الإنسان.

فـ«ديكارت» حين أراد بناء معرفته بدأ من النقطة شديدة الوضوح هو عدم قدرته على الشك في ممارسته الخاصة في الشك وبما أن هناك ذات تشك إذن هناك موجود، فصاغ برهانه (أنا أفكر «أشك» إذن أنا موجود).

وهكذا كان يذهب مؤسس المسرح الفقير إلى القول أن الممثل هو جوهر المسرح، لأنك تستطيع الإستغناء عن كل شيء إلا عنه .. وأنت تجد في علم الاصول تقديم حجيّة الظهور اللفظي أولاً، وفي علم الحديث ابتداءه بالمتواتر ثم الآحاد ومن آحاد الخبر الصحيح ...إلخ أي الأوضح ثم أقل وضوحاً وهكذا

وتجد أن المذهب الواحد فيه: المتفق عليه والإجتهادات والقول الشاذ وما أضعف من يريد إدانة مذهب كامل من خلال قول الشاذ!

أما في حياتنا اليومية فلو كان لدينا يقين بأن فلان كريم ثم رأيناه ينهر فقيراً فأننا نأوّل الظاهر الحسي بقولنا ربما كان هذا الفقير كاذباً !

ومن المآسي أن البعض لا يعرف أن العلوم الطبيعية فيها محكمات ومتشابهات وليست على درجة واحدة من الوضوح فهناك حقائق ونظريات وفرضيات! كمن يحدثك بنتيجة استقرائية بدرجة النتيجة التجريبية!

من الواضحات عند الإنسان قبح الظلم وسهولة استيعابه للمظلومية ومن الواضحات عنده «الحياة» ولأن الأشياء تعرف بأضدادها فالموت من الأمور الواضحة لديه وأوضح درجات الموت القتل وكلما زاد ظلم القاتل ومظلومية المقتول صارت القضية من المحكمات.

ومظلومية الإمام الحسين عليه السلام من أوضح الواضحات، يكفي تأمل استشهاد عبدالله الرضيع فقط .. وبكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه، وبين الدمعة والدم بوابة تختصر الطريق لايصال البشر للإسلام والهداية التامة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

التعاطف من خلال الجزع

ذكرت في الحلقات السابقة أن الحسينيات تجمعات تربوية لا علمية، تستخدم «التعاطف» مع قضية الإمام الحسين عليه السلام كونه من المحكمات. الشعائر الحسينية أحد المظاهر المرتبطة بالحسينيات، وهي محل جدل لا ينتهي، حيث أنها ممارسات يغلب عليها طابع «الجزع».

وهذا المفهوم نرى انعكاساته واضحة في حالات الفقد، مثل الذي يعتري الأُم من نحيب ولطم على فقد إبنها !

وأنقل هنا رواية ليست من كتب الشيعة، جاء في كتاب اتحاف الخيرة للبوصيري، «تحقيق احمد معبد دار الوطن ص ٢٢٧ رقم الحديث ٦٧٥٥».

عن أم سلمة عليها السلام قالت : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نائماً في بيتي فجاء الحسين عليه السلام يدرج، قالت: فقعدت على الباب ،فامسكته مخافة أن يدخل فيوقظه. قالت: ثم غفلت في شيء، فدبَّ فدخل فقعد على بطنه، قالت فسمعت «نحيب» رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجئت وقلت: يارسول الله ما علمت به.

فقال إنما جاءني جبريل عليه السلام وهو على بطني قاعد، فقال لي: اتحبه؟ فقلت: نعم.

قال: إن أمتك ستقتله ألا أريك التربة التي يقتل بها ؟

قلت: بلى ،فضرب بجناحه فاتاني هذه التربة

قالت: واذا بيديه تربةٌ حمراء وهو يبكي ويقول: ليت شعري من يقتلك بعدي!

رواه عبدالحميد بسند صحيح وأحمد بن حنبل مختصراً عن عائشة وأم سلمة على الشك.

للجزع دلالة إلتزامية على عمق الحب[١]، حيث أنّه أعلى درجة من درجات الحزن، وفي الشعائر الحسينية هناك محاكاة وكأن الحسين استشهد للتو، وأسلوب المحاكاة ليست بعيدة عن الأجواء العبادية مثل «الصفا والمروة» واستحضار ماحدث لهاجر عليها السلام أما ثمرة التربوية لهذه الشعائر تكون في نقل الذهن لحادثة كربلاء ثم برمجة الذات فيها.

فإن ما يحدث حالة من حالات البرمجة من خلال التكرار والكثافة الحسية، يقول الدكتور صلاح الراشد في كتاب قانون الجذب ص١٣-١٧ تحت عنوان طرق البرمجة ثم ذكر التكرار والكثافة الحسية، ثم يشرح الثانية بذكر أن موقف واحد قوي جداً يبرمج الإنسان فورياً مثل هتاف المشجعين عند اقتراب لاعبهم من مرمى الخصم، مما يجعل هذه المشاعر تصيب من يحضر لأول مرة فيشعر مشاعرهم حين يقترب اللاعب مرة أخرى من مرمى الخصم.

اذا كانت كل المذاهب تدعوا إلى التشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعلًا ومَظهرًا فالتشيع يتعمق كي يدعوك أن تتشبه بمشاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !

إنها فضيلة عظمى أن تجزع على ضياع أهم قيم الإنسان وتكون مشاعرك قريبة من مشاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

* * * * *

١. البعض يجزع على خسارة مالية ويرقد في المشفى ويقال له مسكين، أما أنت كشيعي حين تجزع على حفيد رسول الله يقال عنك مجنون.

أصالة الحزن

قد يقول البعض بأن علينا أن لا نحول حياتنا لأحزان !

وأقول أولاً الإسلام لا يمنع الفرح.

ثانيًا: هل عندما تُطرد من الجنة تكون بسرور أم بِهَم؟! لقد بدأ الخلق بقصة حزينة، حيث أن إبليس «خَدَعَ آدم» بأن أقسم بالله أنَّ تلك الشجرة مفيدة، وحيث أن آدم يعرف الله وجلاله جيداً لم يحتمل بأن هناك من يقسم بالله كذبًا! فمن هذا المخلوق الذي يعرض نفسه للهلاك الحتمي ويفعلها؟ لا أحد!

وهكذا انبثق الخبر بصورة جديدة: يا آدم لقد خرجت من الجنة لكنك تستطيع أن تعود وهذه المرة بدرجات أكثر وبجنةٍ أكبر أو لك أن تختار العذاب الأبدي !

قدرٌ مليءٌ بالخير، ومزدحمٌ بأنواع المحن والهموم: فأمةٌ تغرق، وجسدٌ يلقى إلى النار، ورأسٌ يقطع لأجل عاهرةٍ، وبدنٌ يحتويه المرض، وأخوةٌ يتآمرون على أخيهم حتى يلقونه في البئر ويشيعون أن الذئب قد أكله، وينهار مجتمعٌ اختار الشذوذ وزعم أنّها الطهارة، ثم تضرم النيران في خيم آل رسول الله ويقادون سبايا!

وعندما تطلُّ على جانب آخر من جوانب التاريخ البشري تجد أن كل الأمم تأصِّل للحزن و تذكر الشجون وتدونها.

فهذه الهندوسية تدون البهغفات غيتا «أنشودة الرب» حيث نشبت الحرب بين عائلتين فيقول: "أرجونا لـ كريشنا الحكيم: لقد قدمت من ساحة القتال، وكنت استطلع قواتنا وقوات العدو، ورأيت ما أثار فيَّ الهول: رأيت الأهل والأقربين، العشير والأصدقاء الذين خالطتهم وخالطوني، والمعلّمين الذين أخذوا بيدي منذ الصغر، وأخذت عنهم العلوم

والمعارف، وهناك شاهدت أبناء العشيرة يجتمعون للحرب فانتابني عندئذ شعور بالإشفاق ملك علي كل كياني وأصاب فمي جفاف شديد، ومازلت حتى هذه اللحظة لا أجد لعابًا يبدد هذا الجفاف.

الحق يا كريشنا أنّي جزعت من الذي رأيته هناك، وانتابني الخوار، ووجدت ركبتي ترتعدان، والشلل يسري في ساعدي فلا يقوى على الحركة، وشعرت بالقوس الفتاك الذي اعطانيه الإله اندرا يكاد يفلت من قبضة يدي بل ورأيت نفسي لا اقوى على الوقوف ورأسي نهب للافكار تتوارد من كل صوب، وتمثلت نذر الشر العظيم الذي ينتظرنا حين ينشب القتال وتتساقط جثث القتلى على الارض

الحق الحق يا كرشنا أني لا أرى خيرًا في اقتتال الأهل وذبح الأخوة. أنّ نفسي لتعاف هذا النصر!"

أما في البوذية فيقول بوكيو ديندو كيوكا في كتاب تعاليم بوذا ص٥٥: تحت عنوان الحقيقة الرباعية النبيلة: العالم مليئ بالمعاناة. الولادة معاناة، التقدم في السن معاناة، المرض والموت معاناة. لقاء شخص تكرهه معاناة، الإبتعاد عمن تحب معاناة، العمل بجد لتلبية الطلبات معاناة، وفي الحقيقة، لا تخلوا الحياة من الرغبات المرتبطة باللام وذلك ما يسمى بحقيقة المعاناة.

أما في الأساطير البابلية ينقل خزعل الماجدي في كتابه إنجيل بابل ص٩٢ وص٢٢٨

كانت عشتار تبكي وتندب تموز وتصرخ في البرية: قم من قبرك يا اخي، فأُمّك في لهفة عليك، أمّك في لهفة عليك، متلهفة لسماع شفتيك العذبتين، إنها تستمع لفمها اللبق، يا فتاي لا تدع أمك تجلس باكية لا تدع أختك، لا تدع أمك نادبة، قم من قبرك ولا تجلب لها الويل، قم من قبرك...

اشتد المرض «بانكيدو» ولبث راقداً على الفراش المرض وصار يبث أحزانه في تلك الليلة إلى صديقه:

- يا خلي رأيت الليلة الماضية رؤيا، السماء ترعد والأرض تستجيب لها وأنا واقف بينهما

فظهر إمامي شخص عبوس وجهه مثل وجه الطير «زو» ومخالبه مثل مخالب نسر، عراني من لباسي وأمسك بي بمخالبه واخذ بخناقي حتى خمدت أنفاسي ...

استمع «جلجامش» إلى صديقه وذهب إلى أمه «ننسون» يقص عليها حاله فقالت له:

- سيموت صاحبك يا ولدي وستبقى لوحدك .. لقد وقع عليه الإختيار ليرحل الى العالم الاسفل سيموت الذي اتخذته أخًا لك

ينسب للفيلسوف الدينماركي «كيركجارد» أنّه قال: استمع إلى صراخ الأُم وهي تضع طفلها، انظر إلى صراع الرجل مع الموت وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ثم اخبرني: هل من يبدأ هكذا وينتهي كذلك يكون قد خُلق للسعادة ؟

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

كونوا دعاةً لنا بغير ألسنتكم والرمزية

يقول «مالوري ناي» في كتاب «الدين الأسس» ص٢١٩ وهو يحاول أن يحلّل بنية الأديان:

يرتكز البحث عن المعاني في الطقوس، وبخاصة التمييز الذي صاغه «بيتي» بين الأفعال التعبيرية والأفعال الوسيلية، على مقاربة رمزية للدين والطقوس. بمعنى أن أهمية الطقوس ومغزاها هي أنّها تعمل من خلال رموز. ووفقاً لهذه النظرة، يمكن النظر إلى الطقوس «كفعل رمزي»

ومن هنا نفهم الإطعام على الحسين عليه السلام ، لماذا تُحارب ؟ ما هو السرُّ فيها؟

«الإطعام» عملٌ تربويٌ آخر من ثمراته إذاقة الخادم حلاوة ولذة خدمة الدين والإنفتاح على الكرم والعطاء، ثم إنَّ هذه المضايف وسيلة تسويقية هامة لقضية الحسين عليه السلام حيث اسم الحسين يُكتب بشكلٍ فني، وخُدّام بمختلف الأعمار وبثيابٍ متشابهة الألوان تعبِّر عن رسالة وقضية.

تقف في أماكن عامة تراها العين بوضوح وتعطيك غذاء مجاني بدافع القضية مع وجود أصوات لقصائد عزائية.

فكل هذه العوامل تُرسِّخ في عقل الضيف القضية وتستقطب ضيوف آخرين من خلال الغريزة الطبيعية للطعام والفضول الإنساني ! لأجل ذلك يُحاربها البعض ..لأنّه يراها دعوة خفية للإمام الحسين عليه السلام «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم».

ربما تبادر إلى ذهنك بأن بعض الحملات التسويقية تعمل وفق هذه البنية بل إن الحركات السياسية تمارس هذه الآليات الرمزية، ولك أن تتأمل كيف أنّ الشيعة لهم الأسبقية في استخدم هذه الآليات.

ورد في كتاب «حرب اللاعنف الخيار الثالث» ص ١١٦ المستفاد من أبحاث «جين شارب»:

وسائل الاحتجاج والإقناع غير العنيف:-

١. لافتات وملصقات وإعلانات تظاهرية[١]

٢. نشرات وكتيبات وكتب[٢]

أعمال رمزية عامة :-

١. رفع الاعلام وعرض الالوان الرمزية [٣]

الأساس التاسع الرمزية :-

وللرمزية ثلاث معان يجدر بنا أن نشير إليها:

الأول: الرمزية في شكل العمل: مثل عمل عزاء أو لبس السواد اعتراضًا على قضية ما.

الثاني: الرمزية في مدة العمل: أن يكون العمل رمزيًا أي لفترة محدودة ومؤقتة.

الثالث: الرمزية في أسلوب العمل: إيصال رسالة ضمنية لتحريك الجماهير على سبيل المثال:إن انتزاع الحرية لن يتم بتفويض قلة من أبناء المجتمع تقوم بالنضال نيابة عنه..

* * * * *

١. (لافتات ورايات تحمل اسم الحسين والخ)

٢. (كتب توزع مع اوراق تتضمن زيارة عاشوراء)

٣. (الوان الاسود والاخضر ورايات عليها يا حسين)

الإحساس بحقارة الذات وضخامة الآخرين

من أهم مايعترض قضية «الشعائر الحسينية»، نفسيات بعض الشيعة التي نحاول تحليلها هنا:

يُحكى بأنَّ أسدًا أراد التهام الجدي لكنه هاب من قرنيه، جاءت القرود حين علمت بنية الأسد، وأخبرته بأن لديها طريقة في التخلص من قرني الجدي طمعًا منها في السلطة والحظوة وإمساك جلابيب الشهرة والشهوة.. بعد موافقة الأسد، تحركت القرود واتفقت مع الخنازير والفيلة والحمائم وبدأت الخُطة واستعد الجميع لإسداء اللَّطمة !

جاء خنزير وهو يبكي أمام الجدي وصراخه يعلوا : يا هذا لماذا نطحت صغاري !

استغرب الجدي .. وهاجت خنازيرٌ أخرى وهي تشتم الجدي دون أن تعطيه فرصة، أما باقي الأيام فاستغلت باقي الخنازير تمثيل الخوف والفرار كلما رأت الجدي !

وبعد انتهاء المرحلة الأولى جاءت ثلاثة فِيلة:

الفيل الأول أقسم بأن القرون ليست من طبيعة حيوانات الجدي بل أنَّ أحد الفيلة حين مات استعار أحد الجديات هذه القرون وزرعتها برأسها

أما الفيل الثاني استمر بالسخرية من قصر طول قرون الجدي مقارنةً بقرناه

أما الفيل الثالث صار يخبر الجدي بأن معاناة الفيلة بدأت منذ أن طمع الإنسان بقرونها وأن حملة التقتيل ستزاداد مع الجديات لأجل قرونها أيضًا.

وفي المرحلة الثالثة جاءت حمامة جميلة وأخبرت الجدي أنَّها تُحبه لولا هذه القرون القبيحة

بعد برهة من الزمن بنت القردة كوخاً اطلقت عليه: كوخ حقوق الحيوان. وأشاعت أفكار المساواة بين الحيوانات، وحرية التعبير، وحرية المعتقد.

وصبغت الغابة تلك الأفكار القردية الكوخية بسبب كثرة القرود ودعم الأسد لها، فصارت الحرية هي الموضة العقلية لكل الحيوانات، ولجأت حيوانات أخرى للكوخ بسبب المساعدات في الطعام والعلاج والرشاوي !

فما كان من الجدي إلا أن يشتكي لهذا الكوخ عن حاله ..

فقالت له القرود إن الحديث الذي تسمعه يكفله حرية التعبير

وأنت تحتاج إلى المساواة بينك وبين بقية الحيوانات

ولديك الحرية أن تقص قرناك ! وأن الكوخ يوفر لك منشاراً تستخدمه جديات في غابات أخرى للتخلص من قرونها وأن في ذلك خيرٌ لها لمواكبتها التغيير[1] والتجديد والتطوير وهكذا تنتهي المعاناة ..

قصَّ الجّدي قرناه ثم ألتهمه الأسد وبقي الكوخ يمارس نشاطه لأجل اصطياد جديات جديدة وبث الإعلام الرسمي الذي ترأسه الفيلة والخنازير والحمائم بأن الجدي مات في قتال سببه العنصرية وتعصب الجدي لطائفته من الجديات البيضاء .. وعلى الجديات الأخرى مراجعة أفرع كوخ حقوق الحيوانات لحمياتهن من القتل على الهوية !

وبعد انضمام مجموعة من الجديات إلى الكوخ، تم اخبارهن بأضرار قرونهن ومدى بغض أهل الغابة لهذه القرون فهي بالسابق قتلت خنزيرًا واليوم هي محل استنقاص وسخرية غالبية أهل الغابة.

قلّل أسد الغابة قتلاه من الجديات حتى لا تُثار من حوله الشكوك لكن الإحساس بالاستصغار والعار توارثته الجديات قرنًا بعد قرن ! (انتهت القصّة)

١. يقول «الدكتور جاسم سلطان» في محاضرة له بعنوان قصة الإدارة بأن فكرة التغيير ظهرت بعد المشاكل التي اعترت الشركات التجارية بعد الحرب العالمية ..

وهناك من يغني على هذه المفردة فقد تابعتهم لسنوات وهم يغنون للتغيير ومن الغريب أنهم لا يطبقون هذه المفردة على أنفسهم حتى يغيروا موضوع التغيير لموضوع أخر !

تعبِّر هذه القصة الرمزية عن الخديعة التي تعرضنا لها، فبعد كل الفوائد الدينية التربوية التسويقية، يستسلم البعض لصراخ، فئات هي أساسًا تخالف العقيدة الشيعية جهارًا نهارًا على كل المسائل.

أو لِأُناس لم يعرفوا الله لسطحيتهم، كل حياتهم بين بطونهم وفروجهم يظنون أن أقصى ما يصل إليه العقل لا يجتاز العادات والتقاليد، فكل ما يفقهه من الحياة أن كثرة المال خير والزواج معراج الإنسان لكثرة عيال .. هو يوسخ العالم بأغبياء مثله ثم يموت ليتحول لأنبوب غاز أو برميل نفط سيبيعه الأمريكي بدولارين حين يستعبد باقي أبنائه الأغبياء.

أو لِأُناس يقلدون الغرب في افكارهم وثيابهم وكلماتهم وطعامهم وفنهم، حتى إذا ارتد الغربي «جينز» ممزق أو قبعة مقلوبة لقلَّده !

ثم يأتي مثل هذا معترضًا مستنكرًا على هذه الشعائر ومحور نقده يتمثل في: كيف تقلِّد فقيهًا في مسألة علمية تخصصية وتجمد عقلك !

ويكيل بتهم بعنوان خوفه على الإسلام من التشويه، وعلى الإنسان من الأذى !

وأنني لم أعرف أحدًا من هؤلاء دافع عن الإسلام بأي شيء، لا طبع ولا ترجم ولا شجّع ولا دفع قرشًا لكيس اسمنت لأجل مسجد

بل إن الذي دافع عن الإسلام وعمل لأجله هم أولئك الذين يراهم آية للتخلف وعلامة للانتكاس!

أما الأذى غرامه والأشلاء عطره وهيامه حين يتعلق الأمر بقطعة أرض خلقها الله فسماه قومه بالوطن بعدما قطعتها بريطانيا وشوتها أمريكا والتهمتها الطغاة !

هو يرى في الشعائر سلبية مطلقة، ولكن يسمي «تحدي الماء والثلج» إنسانية مطلقة

أليس في هذه الممارسة إيذاء للنفس ؟

أليس في هذه الممارسة اسراف للماء ؟[١]
أليس في هذه الممارس رياء فاضح ؟
أين احترام الجسد ؟ [٢]

يقولون أن هذه لأجل التعاطف مع المرضى.

حسناً تعاطف ولكن لماذا أنت غاضب مني إلى هذه الدرجة حين اتعاطف مع الحسين عليه السلام ؟ إذا كانت قضيتكم محصورة في جزئية واحدة فالحسين يجمع قضايا الأيتام والأرامل والفقراء والمساكين والمظلومين فكم من هيئة لكفالة مرضى باسم الحسين عليه السلام ؟
وكم من جائع، شبع باسم الحسين عليه السلام؟
وكم من مكروب تناسى مصيبته بعدما تذكر مصيبة الحسين عليه السلام ؟
أما ان التعاطف لا يحل ولا يرغب إلا حين يفعله ممثل غربي ونصف عاهرة ؟
تأمّل هذه المعادلة التي لا يقبلها إلا الحمقى
تنازل على وجودك وتخلّى عن الشعائر لأجل أن أرضى عنك !
أي معادلة غبية هذه وأي صفقة خاسرة يقنعوننا بها ؟
إذا كانت هذه الشعائر محلَّ تشويه للمذهب لماذا يعمد الطغاة لمحاربتها ؟

١. ويفتقر ٧٦٨ مليون شخص إلى مصادر المياه المحسنة، وهناك ٢,٥ مليار لايحصلون على خدمات الصرف الصحي المحسنة. (http://www.un.org/ar/events/waterday)، ويقدر بأنّ ١ مليار شخص يفتقرون إلى إمدادات مياه كافية(http://www.un.org/ar/globalissues/water) وهناك ١,١ بليون نسمة، أو ١٨ في المائة من سكان العالم، يعوزهم ماء الشرب الآمن. وحوالي ٢,٦ بليون نسمة، أو ٤٢ في المائة من المجموع، تعوزهم المرافق الصحية الأساسية (http://www.un.org/arabic/waterforlifedecade/factsheet.html) (منظمة الصحة العالمية/ اليونيسيف، ٢٠٠٥: ٤٠).
٢. في بريطانيا ٢٢ ألف حالة اغتصاب خلال ستة أشهر، عرضت الخبر في موقعها الرسمي قناة DW العربية بتاريخ ١٦-١٠-٢٠١٤ قسم المنوعات.

العقلية الاستجدائية:

ولأن التأسيس العلمي سطحيٌ عند البعض، صار يعتقد أن كسب رضا الآخرين غاية الغايات وأمُّ التوفيقات[١]، فامتهن الاستجداء الثقافي والتسول الإعلامي، فمبجرد أن يتحدث أحدهم بكلام يوافق الشيعة صار البعض يخصص له برامج تلفزيونية مع أن كلامه يخالف العقيدة الشيعية[٢]، و التاريخ ينقل لنا تقلب هؤلاء علينا [٣].

بدلًا من أن يكون كسب رضا الناس هي الأولوية الشيعية، يجب أن يكون البحث العلمي هي الأولوية الشيعية الأولى وتطوير وسائل العرض هي الأولوية الثانية ..

أذكر أنني سمعت أحد أعضاء نادي «توست ماستر» البحريني وهو مصنف دوليًا بالخطابة، يجيب على سؤال ماذا يفعل الخطيب مع التوتر الذي ينتابه، فأجاب بما مضمونه أنه عليه أن يركز على وظيفته مثل حفظ الخطبة وتقنيات الإلقاء بدلًا من التركيز أنه يريد إعجاب الحضور فهذا خارج تمامًا عن تصرُّفه وإرادته مما يسبب له التوتر ..

* * * * *

١ . يقول «الشيخ علي الكوراني» في موضوعه حزب الدعوة نسخة من الأخوان المسلمين، أن الحزب تبنى فكرة اللامذهبية لتوحيد الأمة !

ويقول «الدكتور علي المؤمن» أنَّ جميع الحركات السياسية الشيعية تأسست في البلدان المختلفة، ومؤسسوها كانوا اعضاءً في حزب الدعوة. راجع مقالاته عن حزب الدعوة

٢ . كـ«حسن فرحان المالكي» حيث يصرّح بأنه ضد العصمة والشعائر ومقامات أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى أن منهج الرجل قرآني وهذا يخالف الفكر الشيعي من حيث العلاقة التبادلية بين روايات أهل البيت عليهم السلام والقرآن.

٣ . كـ «عدنان ابراهيم» حيث يطعن في كتاب سليم بن قيس ويسميه بكهف الأكاذيب على سبيل المثال، وكان قد قال في لقاء له على روتانا خليجية أن بعض خطبه كان الغرض منها جذب الشيعة للتغيير عقيدتهم وقد نجح في ذلك، ومع مراجعة اللقاء يبدو أن هذا الكلام قد حُذف !

الشعائر بـ«لفظ الفقهاء»

وصية الميرزا جواد التبريزي

اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم وأهلك أعداءهم.

والآن حيث أنني موسد في قبري أو أن جنازتي محمولة على أيديكم، أيدي تلامذتي الأعزاء الذين بذلت جهودا مضنية من أجل توفيقهم ولسنوات طويلة لم أعرف فيها معنى للتعطيل ، فإن لدي نصيحة متواضعة، وأنا الذي سعيت طوال عمري أن لا أقدم نصيحة إلى أحد قبل أن أعمل بها:

يجب على جميع المؤمنين أن يدافعوا عن مسلمات المذهب الحق بأرواحهم وأنفسهم، وأن لايسمحوا بتاتا للبعض بتضليل وخداع عوام المؤمنين بإلقاء الشبهات عليهم، خصوصا في مسألة الشعائر الحسينية التي كان التشيع محفوظا بها.

إن حفظ شعائر أهل البيت عليهم السلام لهو حفظ لمذهب الحق مذهب التشيع، فلا تقصروا في ذلك لأنكم مسؤولون عنه.

إنني أوجه نصيحتي لتلامذتي الأعزاء أن يستعينوا بالتقوى الإلهية مع المثابرة والسعي، وأن يجدوا في أمر طلب العلم، وأن يضعوا رضا الله سبحانه وتعالى نصب أعينهم.

لم أكن طوال فترة عمري سوى طالب علم، وكنت -مثل أي طالب شاب- أقضي ليلي ونهاري في تحصيل العلم كي أتمكن من تقديم خدمة صغيرة وأبقي أثرا وكتابا من بعدي يستفيد منه الطلاب الأعزاء.

أيها الطلبة الأعزاء إن دفة هداية الناس بأيديكم فلا تقدموا على عمل يؤذي قلب صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فهو ناظر على أعمالنا بإذن الله تعالى، وإنني ومن هذا المكان أطلب من ساحته المباركة أن يعفو عني إن صدر مني أي تقصير.

أيها الأعزاء إنني محتاج إلى دعائكم، وسواء كنت بينكم أو لم أكن فإنني لم أعقد قلبي على الدنيا لكي أتلكأ وأتردد في أداء وظيفتي، وحينما كنت بينكم كنت أعد نفسي خادما صغيرا، وأرجو من الله سبحانه أن تكون هذه الخدمة البسيطة موضع عناية ورضا أهل البيت عليهم السلام، فإن رضاهم رضا الله سبحانه وتعالى.

وأخيرا فإنني أؤكد على أمر حفظ الشعائر، وحيث أنني راحل عنكم أيها الأعزاء فإنني محتاج إلى دعائكم وأستودعكم الله ربي العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يقول فقيه آخر وهو السيد محمد صادق الروحاني :

س: ما هورأيكم بالنسبة للشعائر الحسينية بجميع اقسامها :

اللطم، البكاء، الضرب بالزنجبير، التطبير، موكب المشاعل، المشي على الجمر ونحوها؟

ج: باسمه جلت أسماؤه

الشعائرالحسينية أقوى سبب لبقاء الإسلام، وهي بجميع مصاديقها حسنة بل فوق الحسن والإستحباب.

يرد المرجع محمد سعيد الحكيم على من يدعي أن الحسين عليه السلام قتل لأجل الاصلاح لا من اجل البكاء والضجيج والنياح.

لكن بملاحظة وضع الناس في تعاملهم مع الأمر الواقع وتعايشهم معه، وخفة وقع الأحداث في أنفسهم بمرور الزمن، تشهد بأنه لولا اصرار الشيعة على إحياء فاجعة الطف وإبراز الجوانب العاطفية فيها التي تحمل على البكاء وتستدر الدمعة، وتثير العجيج

والضجيج، لخفَّ وقع الفاجعة بمرور الزمن، ولنسيها الناس، كما نسوا كثيراً من الأحداث المهمة، نتيجة طول المدة . .. ولضاعت علينا الثمرات الكثيرة التي لا زال التشيع والشيعة تجنيها بإحياء فاجعة الطف، والإنطلاق منها لإحياء جميع مناسبات أهل البيت عليهم السلام .[1]

إلى أن يقول:

إن للممارسات الصارخة التي تلفت الأنظار، والتي يقوم بها كثير من جمهور الشيعة وعامتهم، ويتحملون عناءها وجهدها، أعظم الأثر في إحياء فاجعة الطف وانتشارها على الصعيد العام.

لأنها الأحرى بإظهار عواطف الجمهور نحو الفاجعة، وتفاعلهم بها، وتجذرها في اعماقهم، واستنكارها للظلم الذي تعرض له الامام الحسين واهل البيت عليهم السلام عموماً، كما تعرض له شيعتهم تبعاً لهم على امتداد التاريخ.

كما أن هذه الممارسات هي الأحرى بإلفات نظر الآخرين وتنبيههم للحدث، وحملهم على السؤال والاستفسار عن حقيقته والتعرف على خصوصياته وتفاصيله، ثم التجاوب مع الشيعة واحترام شعورهم، والتفاعل معهم او مشاركتهم في اخر الامر . بلا لدخول في حوزتهم والانتماء لخطهم في ظل ولاية اهل البيت عليهم السلام

وها نحن نرى هذه الايام اثر هذه الممارسات في الفات نظر العالم وتوجيه وسائل الاعلام المختلفة نحو الفاجعة في مواسمها المشهودة .

وذلك يقسر ما سبق في حديث معاوية بن وهب دعاء الامام الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام وقوله : «اللهم ان اعدائنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، خلافا منهم على من خالفنا ، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حضرة ابي عبدالله ع، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا.. »

١. فاجعة الطف للسيد الحكيم ص ٥٠٥

نعم لابد أن ينضم إلى تلك الممارسات بعض الممارسات الهادئة، كقراءة المقتل الفجيع، ومجالس العزاء الشارحة لظروف الفاجعة وأهدافها، والكتب أو النشرات المتحدثة عنها بإسهاب أو إيجاز، تبعاً لاختلاف الظروف والمناسبات .

كل ذلك من أجل التثقيف العام ، والتعريف بالحدث، والتذكير به، واستيعاب مفرداته ومقارناته التي تزيد في وقعه والتفاعل به [١]

وقال:

والظاهر أن من أهم أسباب التهريج على من يقوم بهذه الممارسات هو شعور أعداء التشيع بالمكاسب العظيمة التي حصل عليها التشيع بسببها، على ما ذكرناه آنفاً .

ومن هنا لا موجب للشعور بالضعف، ومحاولة التراجع، لمجرد كون الممارسات المذكورة غير مألوفة للآخرين، أو مورداً لاستغرابهم، أو استغلال الأعداء لذلك من أجل التهريج والتشنيع عليهم .

مضافاً الى امرين :

اولهما : ان تهيب نقد الآخرين والاهتمام بارضائهم تجعل الانسان –من حيث يشعر او لا يشعر– يضخم التهريج والتشنيع، ويهولهما، ويحيطهما بهالة من الاوهام والمبالغات . ويتخيل كثيرا من ردود الفعل السيئة والسلبيات المترتبة عليها، من دون ان يكون لشيء من ذلك وجود على ارض الواقع بل هي كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب

وقد بدأت سهام النقد والاستنكار لها في موجة (العلمانية والثقافية) التي حاولت اكتساح الدين عموماً، والاستهانة به وبممارسته كافة. وقد استشعر كثير ممن ينتسب للدين بالضعف والوهن امام ذلك [٢]»

---

١. فاجعة الطف للسيد الحكيم ص ٥٣٩ – ٥٤٠

٢. فاجعة الطف للسيد الحكيم ص ٥٤٢ –

ثم يقول سماحة المرجع في ص٥٤٣:

إن التهريج والتشنيع حيث كان المقصود منه تراجع الشيعة عن هذه الممارسات، فاذا لم يجد أُذنا صاغية خفت تدريجياً، لشعور أصحابه بالخيبة والفشل. واضطروا للتعامل من هذه الممارسات كما يتعاملون مع سائر الامور المفروضة على ارض الواقع مما لا يعجبهم.

أما إذا وجد أُذناً صاغية وبدأ الشيعة يتراجعون عن بعض هذه الممارسات من أجله، فإن القائمين بالتهريج والتشنيع يشعرون بنجاح مشروعهم، فيزيدون فيهما من أجل تراجع الشيعة عما تبقى من هذه الممارسات .. ويخسر الشيعة أقوى دعامة لهم في نشر دعوتهم وأسماع صوتهم وبيان ظلامتهم وامتداد وجودهم، وهو الذي يريده أعداؤهم على امتداد التاريخ.

* * * * *

مظاهر أخرى

الزيارات :

هي وسيلةٌ أخرى لمعرفة مقام المعصوم، من خلال تجاوز المسافة الزمنية والمكانية وتكريس الإيمان بأن المعصوم لا يختلف حياته عن وفاته، فالرؤية القلبية أدق من الرؤية البصرية لذلك هناك من رأى النبي بعينه ولم يؤمن به وهناك من لم يرَ النبي بعينه ولكن آمن به، فالبصيرة اهم من البصر !

اللعن :

من الممارسات التي تشيع في الحسينيات هو اللعن، وهو مظهر أخر من مظاهر التربوية في إتجاه الإستنكار والرفض من شخصيات اتصفت بالقبح، من حيث مخالفتها لأوامر الله عز وجل.

ومن يلاحظ السيرة الإنسانية يجد هذه الممارسة في أبجديات سلوكه، أنظر لعلب السجائر وعبارات التحذير وهي توحي باستنكار ما يسببه التبغ من أضرار بالنفس !

وحتى على المستوى السياسي تستنكر الدول أي تمجيد أو تعظيم لشخصية تعتقد الدولة أنها ضد مصالحها، لأن ذلك يشرعن ويربي المجتمع الآخر على انتهاج ذات السلوك والطريقة، وعلى سبيل المثال موقف مصر من تسمية إيران لأحد شوارعها باسم «خالد الإسلامبولي».

السب :

هناك احساس عند البعض بأن اللعن سلوك غير أخلاقي فهو يشبه الشتم !

لذلك أحب أن أعرض مقتطفات من كلام لآية الله الشيخ علي الجزيري تعمدت أن أضعه بالكامل حتى نطلع على الدقة العلمية للذهنية الأصولية الفقيه ونلاحظ ضعف الذهنية العامية العرفية.

يقول آية الله الشيخ علي الجزيري :

وحيث إني سمعت وقرأت لكثير من المؤمنين: التفريق بين اللعن والسب، وأن السب خلق ذميم.

وهذا كلام لا ينبغي صدوره، فاحتاج الأمر إلى توضيح :

فأقول وبالله التوفيق :

السب والشتم فعلان، وليسا خلقين.

والفرق بين الفعل والخلق ظاهر، فالذي تطيب نفسه بالعطاء كريم، ومتصف بخلق الكرم، وإن كان نائماً، والذي يعطي شيئا من ماله قد صدر منه العطاء وإن كانت نفسه ضيقة بهذا الفعل .

وهل الشتم مذموم في الشرع ؟

ينبغي التفصيل

فإن الشتم له صور كثيرة :

فمنه الشتم الذي يتضمن المساس بالشرف، وهو ما يسمى في الشرع قذفاً.

ومنه الشتم الذي لا صحة له، وهذا كذب.

ومنه الشتم للمؤمن .

ومنه ما ليس من هذه .

وقد اشتمل القرآن الكريم على سب كثير ، لأناس يستحقون :
كقوله تعالى :**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**
وقوله : **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**
وقوله سبحانه :**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**
وقوله : **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ**
وقوله : **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**
وقوله : **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**
وقوله : **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**
وقوله : **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**
وقوله : **وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**
وقوله : **هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**
وقوله : **مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**
وقوله : **عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**

وتفصيل الكلام في السب يستدعي الحديث في مفهومه، وأقسامه، وأحكامه.
أما مفهوم السب :
فقد جاء تعريفه في كتب اللغة تعريفات ، نذكر منها :
ففي المحيط في اللغة :
السبب: الشتْمُ، والسبَابُ: المُشَاتَمَةُ، والسب: الذي يُسَابُكَ. والمَرْأةُ سِب - أيضاً - .
والسبُ: القَطْعُ. وُيقال للسيْفِ: سَبابُ العَرَاقِيْبِ. وأصْلُ السب: العَيْبُ. وبَيْنَهم أُسْبُوْبَةٌ:

يَتَسَابُّوْنَ. ورَجُلٌ سُبَبَةٌ: يَسُب الناسَ، وسُبة: يَسُبه الناسُ. والسبابَةُ: الإِصْبَعُ المُشِيْرَةُ، وهي المِسَبةُ أيضاً.

وفي جمهرة اللغة :

سَبَّ يَسُبُّ سبّا. وأصل السَبّ القطعُ ثم صار السَبُّ شتماً لأن السَبَّ خَرْق الأعراض.

قال الشاعر:

فما كان ذَنْبُ بني مالكٍ ... بأن سُب منهم غلام فَسَب

أي شُتم فقَطع. ويُروى: لأن سبّ.

وفي معجم الوسيط :

(الهجاء) السب وتعديد المعايب ويكون بالشعر غالبا

وفي مجمع البحرين :

ش ت م الشتم : السب ، بأن تصف الشيء بما هو إزراء ونقص

وفي الفروق اللغوية :

الفرق بين الشتم والسب: أن الشتم تقبيح أمر المشتوم بالقول وأصله من الشتامة وهو قبح الوجه ورجل شتيم قبيح الوجه وسمي الاسد شتيما لقبح منظره، والسب هو الاطناب في الشتم والاطالة فيه واشتقاقه من السب وهي الشقة الطويلة

قال ابن عبد المحسن:

وليعلم أن موضوع الحكم الشرعي إذا لم يبين في الشرع ، فالمرجع فيه هو العرف، وليس اللغة، ولكننا نقلنا بعض كلمات أهل اللغة لأن هؤلاء بعض أهل العرف .

ولنعرض بعض كلمات فقهائنا في مفهوم السب :

قال **العلامة الحلي** في المختلف :

والمفاخرة وهي لا تنفك عن السباب ، إذ المفاخرة إنما تتم بذكر فضائل للمفتخر وسلبها عن خصمه ، أو بسلب رذائل عنه واثباتها لخصمه . وهذا هو معنى السباب

قال **السيد العاملي** في مفتاح الكرامة :

والشتم السب بأن تصف الشيء بما هو إزراء ونقص ، فيدخل في السب كل ما يوجب الأذى كالقذف والحقير والوضيع والكلب والكافر والمرتد والتعيير بشيء من بلاء الله كالأجذم والأبرص

وقال **الشيخ الأنصاري** في المكاسب :

ثم إن المرجع في السب إلى العرف .

وفسره في جامع المقاصد بإسناد ما يقتضي نقصه إليه ، مثل الوضيع والناقص .

وفي كلام بعض آخر : أن السب والشتم بمعنى واحد .

وفي كلام ثالث : أن السب أن تصف الشخص بما هو إزراء ونقص ، فيدخل في النقص كل ما يوجب الأذى ، كالقذف والحقير والوضيع والكلب والكافر والمرتد ، والتعبير بشئ من بلاء الله تعالى كالأجذم والأبرص .

ثم الظاهر أنه لا يعتبر في صدق السب مواجهة المسبوب . نعم ، يعتبر فيه قصد الإهانة والنقص

وقال **السيد الخوئي** في مصباح الفقاهة :

الظاهر من العرف واللغة اعتبار الإهانة والتعبير في مفهوم السب وكونه تنقيصا وازراءا على المسبوب وأنه متحد مع الشتم ، وعلى هذا فيدخل فيه كلما يوجب إهانة المسبوب وهتكه

، كالقذف و التوصيف بالوضيع واللاشئ ، والحمار والكلب والخنزير ، والكافر والمرتد ، والأبرص والأجذم والأعور ، وغير ذلك من الألفاظ الموجبة للنقص والإهانة ، وعليه فلا يتحقق مفهومه إلا بقصد الهتك ،

وأما مواجهة المسبوب فلا تعتبر فيه .

قال **ابن عبد المحسن** :

فالسب عرفا هو:

ذكر عيب في أحد بداعي تصغيره وتنقيصه .

أقسام السب :

قد ظهر مما ذكرناه في مفهوم السب عند العرف أمور :

لأنك إذا ذكرت أحدا بعيب :

فقد يكون ذكرك لعيبه بقصد تعييره وتصغيره ، مثل أن تتشاجر مع أحد قصير القامة فتقول له وانت تذمه : يا قصير .

وقد يكون ذكرك لعيبه بقصد تعريفه ، مثل أن يسألك أبوك : من الذي طرق الباب ؟ فتقول له : جارنا القصير .

فظهر من هذا وجود قسمين لبيان العيب ، فهل هذان القسمان جميعا يدخلان في السب ؟

كلا ، بل السب هو الأول منهما فقط ، وهو ما كان القصد منه التنقيص .

ثم إنك قد تذكر عيب أحد في حضوره ، وقد تذكر عيبه في غيابه ، وإذا كان حاضرا فقد توجه له الخطاب ، وقد توجه الخطاب إلى شخص آخر .

فتارة تقول عن الغائب : زيد الغبي ، وأخرى تقول عمن هو حاضر : هذا الغبي ، وثالثة تقول له : أيها الغبي ، فهل جميع هذه الأقسام الثلاثة من السب ؟

نعم .

كما أنك قد تذكر عيبا في أحد ، ولا يكون العيب موجودا فيه ، وقد تذكر فيه عيبا ويكون العيب موجودا فيه ، فهل هذان القسمان من السب ؟

نعم .

كما إن العيب الذي تذكره فيه :

قد يكون نقصا في جسمه : كالقصير ، والأسود ، والدميم ، والأعور ، والأعرج ، وكبير الأنف ، وصغير العين ، وأمثال ذلك .

وقد يكون نقصا في عقله : كالغبي ، والأحمق ، وأمثالهما .

وقد يكون نقصا في حسبه : كلئيم الأصل ، وابن الأمة ، وابن الحمقاء ، وأمثال ذلك .

وقد يكون نقصا في خلقه : كالبخيل ، والجبان .

وقد يكون نقصا في دينه : كالكافر ، والمنافق ، والفاسق .

كما إن العيب قد يكون خفيا على الناس ، وقد يكون واضحا .

كما إن الذاكر للعيب : قد يكون أبا أو من بحكمه كالأم والجد والمعلم ، وقد يكون أجنبيا .

وقد يكون ذكره للعيب لأجل غرض أهم كتعليمه وتأديبه أو تعليم وتأديب غيره ، بأن يذكر عيبه لتنقيصه من أجل أن يؤدبه ، وقد يكون لغير ذلك .

كما إن المسبوب : قد يكون مسلما ، وقد يكون كافرا .

والمسلم قد يكون مؤمنا تقيا ، وقد يكون ضالا ، أو فاسقا .

فالسب :

منه ما هو ذكر لعيب موجود ، ومنه ما هو لعيب غير موجود .

والثاني : منه ما هو عيب للموجود ، ومنه ما هو لغير الموجود .

وكلاهما : منه ما هو طعن في عرض ، ومنه ما هو غير ذلك .
وكلاهما : منه ما يترتب عليه غاية أهم ، ومنه غير ذلك .

هذه بعض أقسام السب.

ولسنا نريد استقصاء جميع الأقسام ، بل الغرض توضيح أن إطلاق الحكم على جميع أقسام السب فعل غير صحيح .

بعد أن عرفنا مفهوم السب ، وعرفنا بعض أقسامه ، يصل بنا الكلام إلى المهم من هذا البحث ، وهو :

حكم السب :

وقد أشرنا إلى أن أقسام الشتم والسب ليست جميعها محكومة بحكم واحد في الشريعة الإسلامية ، بل يختلف حكم بعض أقسامه عن البعض الآخر ، وهذا الإختلاف في الحكم بين بعض الأقسام ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

وسوف نتطرق لبيان حكم بعض الأقسام التي ذكرناها ، مع الدليل إن شاء الله.

ولكن حيث كثر في هذه الأزمنة التسامح في إطلاق القول بتقبيح السب ، حتى صارت النفوس تنفر من كل سب ، حتى إذا مرت بأحد المؤمنين رواية تحكي عن صدور السب من أحد المعصومين لبعض من يستحق السب ، تجد المؤمن يستنكر هذه الرواية من كثرة ما سمع من تقبيح مطلق السب .

فإذا قرأ رواية تحكي أن المعصوم قال في رجل : عجبا لابن النابغة...

بادر هذا المؤمن المتأثر بما يسمع من قبح السب مطلقا إلى طرح الرواية ، وتهجم بوصف الرواية بأنها موضوعة ، بحجة أن السب عمل قبيح ، والإمام لا يمكن أن يصدر منه العمل القبيح .

ولعل وزر تهجمه هذا يقع على عاتق من تسامح في وصف الشتم كله بالقبح ، ولم يبين أن القبيح من الشتم والسب إنما هو بعض أقسامه .

فاقتضى ذلك أن ننقل كلمات بعض الأساطين من علماء الشيعة أنار الله برهانهم ، ليتضح للقاريء الكريم أن ما سوف نبينه من حكم السب لم يكن أمرا مخفيا على من راجع الكتب الفقهية .

قال **السيد الخوئي** في منهاج الصالحين :

ومنها : سب المؤمن واهانته واذلاله

وبهذا قال كل من جاء بعده من المراجع الذين طبعوا كتاب منهاج الصالحين على طبق آرائهم .

وجاء في كتاب صراط النجاة :

سؤال ١٢٤٦ : وهل يجوز سب أهل البدع والريب ومباهتتهم والوقيعة فيهم؟

الخوئي: إذا ترتب ردع منكر على تلك، فلا بأس.

ووافقه على هذا الحكم **الميرزا جواد التبريزي** قدس سره .

وقال **الشهيد الثاني** في المسالك :

لما كان أذى المسلم غير المستحق للاستخفاف محرما، فكل كلمة يقال له ويحصل له بها الاذى، ولم تكن موضوعة للقذف بالزنا وما في حكمه لغة ولا عرفا، يجب بها التعزير، لفعل المحرم كغيره من المحرمات، ومنه التعيير بالامراض. ففي صحيحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل سب رجلاً بغير قذف يعرض به هل يجلد؟ قال: عليه التعزير) .

والمراد بكون المقول له مستحقا للاستخفاف أن يكون فاسقا متظاهرا بفسقه، فإنه لا حرمة له حينئذ، لما روي عن الصادق عليه السلام: (إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة).

وفي بعض الاخبار: (من تمام العبادة الوقيعة في أهل الريب) .

وروى داود بن سرحان في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البرأة منهم، وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم لئلا يطمعوا في الفساد في الاسلام، ويحذرهم الناس، ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الاخرة)

وقال **السيد العاملي** في مفتاح الكرامة :

والشتم : السب ، بأن تصف الشيء بما هو إزراء ونقص ، فيدخل في السب كل ما يوجب الأذى ، كالقذف ، والحقير ، والوضيع ، والكلب ، والكافر ، والمرتد ، والتعيير بشيء من بلاء الله كالأجذم ، والأبرص .

ولو كان مستحقا للاستخفاف فلا حرمة ، إلا فيما لا يسوغ لقاؤه به ....إلى أن قال : وسب غير أهل الإيمان من شرائط الإيمان .

وأعتقد أن كلام فقيه أهل البيت ، **الشيخ النجفي** في الجواهر فيه غنى وكفاية ، إذ قال : ولو كان المقول له مستحقا للاستخفاف) لكفر أو ابتداع أو تجاهر بفسق (فلاحد ولاتعزير) بلاخلاف ، بل عن الغنية الاجماع عليه ، بل ولاإشكال ،

بل يترتب له الاجرعلى ذلك ،

فقد ورد (أن من تمام العبادة الوقيعة في اهل الريب) ،

وورد أيضا ولم اعثرعليهم عاجلا .

(زينوا مجالسكم بغيبة الفاسقين)

وعن الصادق ﴿عليه السلام﴾ (إذا جاهر الفاسق بفسقه فلاحرمة له ولا غيبة)

وفي النبوي (ذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدى فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم وأهينوهم(وباهتوهم) لئلايطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولاتتعلموا من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ، ويرفع لكم به الدرجات)

إلى غير ذلك مما هو دال على ذلك وإن لم يكن من النهي عن المنكر ،

بل هو ظاهر الفتاوي أيضا

بل قد يترتب التعزير على تارك ذلك إذا كان في مقام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين عليه ، لحصول الشروط :

نعم ليس كذلك ما لايسوغ لقاؤه به من الرمي بما لايفعله ،

ففي حسن الحلبي عن الصادق﴿عليه السلام﴾« أنه نهى عن قذف من كان على غيرالاسلام إلا أن يكون اطلعت على ذلك منه »

وكذا في صحيحه عنه ﴿عليه السلام﴾ وزاد فيه « أيسر ما يكون أن يكون قد كذب »

نعم يترتب التعزير على ما سمعته سابقا في حق غير المستحق

(وكذا كل ما يوجب أذى كقوله : يا أجذم أو ياأبرص) أو يا أعور أونحو ذلك وإن كان فيه ، إذ ذلك أشد عليه ، كما هو واضح ، والله العالم

وقال **السيد الخوئي** في مصباح الفقاهة :

المسألة حرمة سب المؤمن قوله: التاسعة: سب المؤمن

حرام في الجملة بالادلة الاربعة. أقول: قد استقل العقل بحرمة سب المؤمن في الجملة، لكونه ظلما وايذاء، وعلى ذلك اجماع المسلمين من غير نكير، وقد تعرض الغزالي لذلك في احياء العلوم .

وقد استفاضت الروايات من طرقنا ومن طرق العامة على حرمته.

نعم المراد هنا من المؤمن في رواياتنا غير ما هو المراد في روايات العامة، ومن هنا منعوا عن سب أبي حنيفة واشباهه. ويدل على الحرمة ايضا قوله تعالى: واجتنبوا قول الزور ، فان سب المؤمن من أوضح مصاديق قول الزور، ولا ينافي ذلك ما ورد من تطبيق

الاية على الكذب كما سيأتي.

...

إلى أن قال :

قوله: ثم انه يستثنى من المؤمن المتظاهر بالفسق. أقول:

يجوز سب المتجاهر بالفسق بالمعصية التي تجاهر فيها لزوال احترامه بالتظاهر بالمنكرات كما في بعض الاحاديث، وسيأتي ذكره في البحث عن مستثنيات الغيبة، وأما المعاصي التي ارتكبها العاصي ولكن لم يتجاهر فيها فلا يجوز السب بها، وأما السب بما ليس في المسبوب فافتراء عليه فيحرم من جهتين. قوله: ويستثنى منه المبدع ايضا. أقول: قد دلت الروايات المتظافرة على جواز سب المبدع في الدين ووجوب البراءة منه واتهامه. ولكن الظاهر انه لا وجه لجعله من المستثنيات باستقلاله، فانه ان كان المراد به المبدع في الاحكام الشرعية فهو متجاهر بالفسق، وان كان المراد به المبدع في العقائد والأصول الدينية فهو كافر بالله العظيم، فيكون خارجاً عن المقام موضوعاً لعدم كونه متصفا بالايمان.

فعلم مما قدمناه أن السب على أقسام ، وأن منه ما هو محرم في الشرع ، ومنه ما هو مباح ، بل منه ما هو مستحب ، بل ما هو واجب .

ونكتفي بذكر بعض أفراد السب المحرم :

١ – السب المتضمن للقذف ، سواء كان القذف للمسبوب أو لأحد ذويه .

٢ – السب بالألفاظ الفاحشة ، التي يستهجن العرف ذكرها ، (والتي يعبر عنها في زماننا بالألفاظ التي تجرح الحياء العام)

٣ – السب الذي يؤدي إلى سب الله ، أو أحد من الأنبياء أو الأئمة .

٤ – السب الذي يؤدي إلى تضرر الساب .

٥ – السب الكاذب .

كما نكتفي بذكر بعض أفراد السب الجائز :

١ – سب الكافر بشرط أن لا يدخل في أحد الأقسام المحرمة السابقة ، كأن يتضمن قذفا، أو لفظا فاحشا، أو يؤدي إلى ضرر.

٢ – سب أهل الضلال بشرط أن لا يندرج تحت أحد الأقسام المحرمة السابقة .

٣ – سب المؤمن المتجاهر بالفسق في خصوص ما تجاهر به .

٤ – سب المؤمن المبتدع .

٥ – سب من تترتب على سبه مصلحة أعظم . مثل جرح الشهود ، وجرح رواة الحديث .

ولا يخفى أن الحرمة في بعض الأقسام التي ذكرناها للسب المحرم ، والجواز في بعض الأقسام التي ذكرناها للسب الجائز إنما ثبتتا بالعنوان الثانوي ، ولأجل طرو عنوان آخر على السب ، كعنوان الضرر ، ولكننا ذكرنا أحكام هذه الأقسام لأجل أن الذين يتسامحون في بيان حكم السب ، يذكرون بعض أقسام السب المحرم بسبب طرو عنوان ثانوي فيتوهم السامع أن حرمة السب هنا ذاتية ، وليست كذلك .

فأردنا أن نبين حكم هذه الأقسام بنحو يتيسر فهمها للجميع .

وإلا فالجواب العلمي لمن يحرم كل أقسام السب ويذكر منه سب الذين يعبدهم المشركون ، أو يذكر السب الذي تترتب عليه مفاسد عظيمة مثل إراقة دماء المؤمنين ، هو :

إن هذا حكم ثابت للسب بعنوان ثانوي ، وليس هذا العنوان الثانوي ملازما للسب دائما ، فقد يتمكن المسلم من سب الصنم وهو في بيته ، بحيث لا يؤدي سبه للصنم لأن يسب عباد الصنم ربنا تبارك وتعالى .

وإذا كان العنوان الثانوي يوجب حرمة السب أحيانا ، فإن العنوان الثانوي يقتضي وجوب السب أحيانا أخرى ، فلماذا تقبحون السب وتنفرون الناس من جميع أقسامه مع أن بعض أقسامه واجب ، كالسب الذي يؤدي إلى تنفر حفظ عقائد الناس .

فالبسطاء والسذج الذين لا يتمكنون من فهم البراهين العلمية إذا خيف على عقيدتهم من تلبيس بعض الكفار مثلا وكان حضور هؤلاء البسطاء في مجالس الكفار كثيرا ، وكان حفظ دين هؤلاء البسطاء متوقفا على إسقاط الكفار من أعينهم بسبهم ، كما لعله هذا حال المسلمين الذين يعيشون في بلاد الكفر مع أبنائهم الذين يدرسون في مدارس الكفار .

فإن السب في هذه الصورة واجب .

* * * * *

وأخيراً

الاصرار على الحسينيات هو الاصرار على مقام تربوي مرتبط بثواب عظيم ، فروايات البكاء على الحسين ع بلغت ٥٠٠ روايةكما ينقل السيد ضياء الخباز[١]، اما ثوابها فينكسر القلم قبل الوصول لحدودها ! لذلك سأحيلك لثلاثة مصادر

١. **بحار الانوار ج ٤٤**
٢. **كامل الزيارات**
٣. **الخصائص الحسينية**

فلماذا البعض يستخف بهذا العنوان ويقترح في مثل هذه المواسم عبادات أخرى وهي متاحة طوال الايام ويمكن عملها بشكل لا يتزاحم ويلغي الشعائر الحسينية ؟

سؤال أجابه **المحقق النائيني** :

ما يقول مولانا حجة الاسلام في ذكر مقتل الحسين عليه السلام في سائر أوقات السنة ، هل فيه كراهة يقبحها الشرع الشريف ؟

فإن بعض العلماء ادعى الكراهة ما عدا يوم العاشر من المحرم ، وعلى الكراهة فما دليلها؟ أفيدونا مأجورين .

الجواب: كان أعاظم السلف الصالحين - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - يتحرزون عن ذكر نفس الفجيعة التي ارتجت لها السماوات والأرضون حتى يوم عاشوراء ، ولكن لا لورود دليل على الكراهة المصطلحة الفقهية، بل لأن عظمة المصيبة تقتضي أن تزهق الأرواح من سماعها ولا يؤدى حقها بغير ذلك. والله العالم.[٢]

١. خطوات نحو الحسين ص ٢٥
٢. كتاب الفتاوى ج٣ ص ٥٥٨

الفهرس